ومن المراكز التجارية المهمة التي اسسها الفينقيون صور وصيدا وقرطاجنة وقد اشتهرت هذه المدن بحضارتها وكثرة تجارتها .

اما من حيث الفكر الجغرافي لدى الفينقيين فيمكن القول ان الجوانب الفلكية يمكن استبعادها وعدم الخوض في الحديث عنها دون وثائق اثرية او حتى ادلة وشواهد تاريخية ، فلم يؤثر عن الفينيقيين ما يدل على وجود نظرية لديهم بشأن خلق الكون او شكل الارض او ما شابه ذلك .

ولكن اذا ما حللنا الدور الحضاري للفينقيين نصل الى نتيجة واضحة تتمثل في احتفاظ الفينيقيين باسرار عملهم التجاري المتمثل في معرفة الطرق التجارية ومواسمها ومواعيدها ، الامر الذي افضى علينا الكثير من جوانب المعرفة الجغرافية لديهم ويمكن القول ان معارفهم البحرية كانت على درجة متقدمة ، فالطرق البحرية وظاهرة المد والجزر واتجاه الرياح ومواسمها ومعرفة الاحياء البحرية ، وموسم الزراعة وانواعها كلها كانت معروفة من قبلهم

واهم ما يمتاز به الفينقيون رحلاتهم التجارية والاستكشافية سواء اكانت لحسابهم الخاص ام لحساب غيرهم . فقد عرفوا وجابوا معظم البحار ، فاذا بدأنا في البحر الاحمر الذي عرفه الفينقيون حق المعرفة ومنه انطلقوا الى المياه الشرقية او بمعنى آخر المياه الهندية فوصلوا الى سواحل افريقية الشرقية والهند حيث عرف الفينقيون باسم العرب فسمي البحر هناك باسم « بحر العرب » وعلى سواحل الجزيرة العربية اختلط في تلك العصور القديمة مدلول العرب بالفينقيين ، فكلما خرجت من هذه السواحل رحلة تجارية اعتبرت في نظر البعض عربية وفي نظر غيرهم فينقية .

وهذه الاشارة السابقة تعطينا الدليل الثابت من ان كل المجموعات التي خرجت من شبه جزيرة العرب عربية في اصلها وحياتها وحضارتها وارتباطها وتسميتها سواء اكانت منهم من سكن في مدينة اكد او بابل او آشور او غيرهم فهم مرتبطون بعروبتهم التي تتمثل في موطنهم الاصلي شبه جزيرة العرب ، ولم يقتصر نشاط الفينيقيين على البحار الشرقية ، فان نشاطهم في البحار الغربية لا يقل اهمية عن نشاطهم في البحار الشرقية ، فقد قاموا برحلات تجارية استكشافية الى جميع سواحل المحيط الاطلسي الشرقية[1] ويمكن القول بانهم اول المجموعات التي وصلت

(١) شريف ، مصدر سابق ، ص ١١٩ .

الى سواحل الجزر البريطانية بل وانهم وصلوا الى ابعد من ذلك ، فعرفوا الاجزاء الغربية من بحر البلطيق وعرفوا السواحل الغربية لقارة افريقية ، ومن اهم الرحلات الكشفية الفينيقية رحلة هانوا (Hanno) ورحلة هميلكو (Himilco) الاولى باتجاه الساحل الغربي لافريقيا والثانية الى الساحل الاوربي .

فاما رحلة هانو (Hanno) فانها لا ترجع الى ابعد من عام ٥٠٠ ق . م على وجه التقريب حيث يرى البعض انها حدثت قبل عام ٤٨٠ ق . م والبعض الآخر نحو عام ٤٧٠ ق . م .

وتعتبر رحلة هانو اعظم كسب حققته الملاحة الفينيقية وسجلت احداث هذه الرحلة من قبله في معبد مولوك (Molach) باللغة القرطاجية .

ورحلة هانو كبقية الاخبار القديمة تمتاز بطبيعة المبالغة ومع ذلك فهي رحلة كشفية جغرافية دون النظر الى المنطقة التي وصلت اليها .

اما رحلة هميلكو فقد كانت اول الرحلات لمعرفة شمال الاطلسي . ويمكن ان نستنتج مما تقدم اتساع الافق الجغرافي الفينيقي القائم على اساس معرفة العالم القديم فرحلات الشرق والغرب واتساع تجارتهم ما بين الشرق والغرب قد هيئا لهم فرصة لمعرفة الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمعظم انحاء العالم القديم لان تجارتهم تقوم على اساس نقل ما يتوفر في منطقة معينة الى منطقة اخرى تبدوا الحاجة فيها واضحة ، ومعرفة ذلك يتطلب معرفة الطبيعة والسكان والطرق وهذا بحد ذاته يمثل جوانب مهمة من المعرفة الجغرافية ، اذا ما اخذنا بنظر الاعتبار طبيعة المرحلة الزمنية ، فالحديث عن ذلك النشاط قد سبق وقتنا بما يزيد على ٣٥٠٠ سنة ...

د ـ الفكر الجغرافي عند الاغريق

اليونان من الاقوام الكثيرة التي تعرف بعائلة لغاتها « الارية » أو اللغات ـ الهندية الاوربية ، والاقوام التي تتكلم بهذه العائلة اللغوية ليست من جنس « عرق » واحد خالص ويرجع كثيراً ان مهدهم القديم كان في مكان ما في الواحات ومناطق المراعي في جنوب روسيا الى بحر قزوين ، ويرجع البعض ان يكون وادي الدانوب الاعلى هو مهدهم الاصلي ، ويقدر الزمن الذي بدأت فيه فروع من هذه الاقوام تهاجر من مهدها الاصلي بحوالي بداية الالف الثاني ق . م[١]

---

(١) طه باقر ، نفس المصدر جـ ٢ ، ص ١٦٦

ويعود سبب هجرة القبائل الى فترات الجفاف واحلال القحط في موطنهم الاصلي اضافة الى كثرة الخيرات في مراكز الحضارة القديمة التي اتجهوا اليها ومنها حضارة بحر ايجة التي بدأت منذ اوائل الالف الثالث قبل الميلاد ، والتصاق اليونانيين باطراف الحضارة الايجية ساعد على اقتباس اسس تلك الحضارة ومن ثم تطورها ووضعها في قالب جديد يجمع بين الحضارة الايجية وروح القبائل اليونانية المتكونة من خليط النورديين وعناصر حوض البحر المتوسط والقبائل الاخرى التي نزحت الى بحر ايجة .

تعلموا فنون البحار بعد ان غزوا جزيرة كريت واخضعوها لسيطرتهم ومن ثم بدأوا يدخلون التاريخ حيث اصبحوا قوة مؤثرة في المنطقة وفعلًا بسطوا نفوذهم على جميع بحر ايجة ووصلوا الى آسيا الصغرى في اول مرحلة استعمارية لهم[1]

وكانت البيئة الجغرافية التي سكنها اليونانيون والمتمثلة في الجزر العديدة اضافة الى طبيعة المناخ ، كل ذلك عمل على طبع العلم اليوناني بطابع معين يقوم على اساس التوافق بين امزجتهم وطبيعة البيئة التي اتوا اليها ، واستخدموها استخداماً سليماً فبرزوا في عملهم وكونوا لهم ثقافة طبعت بطابعهم .

وبالرغم من ذلك فان هنالك حقيقة هامة جديرة بالاعتبار وينبغي ان نضعها دائماً نصب اعيننا ، وهي ان تلك « المعجزة » اليونانية قد سبقتها آلاف الجهود العلمية في مصر وبلاد النهرين وغيرهما من اقطار الشرق القديم ذات الحضارات العريقة المجيدة . ومعنى ذلك ان العلم اليوناني انما كان في حقيقته احياء اكثر منه اختراعاً .

ليس ثمة شك في ان الجغرافيا عند الاغريق قد حظيت عناية هامة ولاسيما في مظهرها الفلكي الخلاب الذي استطاع ان يجلب انتباه فلاسفة الاغريق وحكمائهم ، ويمكن القول ان الجغرافيا قد احرزت على ايدي الاغريق تقدماً كبيراً الى حد بعيد فقد بدأت الجغرافيا لديهم كتأملات فلسفية ، ظلت طويلًا مرتبطة بهذا الاطار التأملي الفلسفي غير قادر على الفكاك منه والانطلاق الى ان رسخت الحقيقة المتعلقة بكروية الارض ، كما بدأت نظرية المناطق تدخل نطاق الفكر ، وحينئذ استقر للجغرافيا اساس ثابت امكن عليه تشييد صرح تقدمها وبذل الجهد لتطويرها ، وفي مجال تطور مفهوم الجغرافيا وفروعها فأن كافة الفروع الرئيسية للجغرافية قد نشأت وتأسست على ايدي الاغريق .

---

(١) شريف ، نفس المصدر ، ص ١٥٥

حتى ان كلمة الجغرافيا يعتقد بأن الفيلسوف اليوناني « ايراتوشبنس » (Eratosthenes) هو اول من استخدم كلمة جغرافيا والتي تتألف من مقطعين هما (Geo) بمعنى الارض و (Graphie) بمعنى انا اكتب او انا اصف فتعبر معنى الكلمة المركبة وصف الارض أو الكتابة عنها .(١)

وحيث ان التداخل بين العلماء الجغرافيين واهم الخصائص التي امتازت بها الجغرافية في العصر الاغريقي قائماً ويبعد القاريء عن وضوح الصورة للفكر الجغرافي الاغريقي فسوف نتابع الفكر الجغرافي الاغريقي من خلال تتبع الشخصيات الجغرافية الاغريقية ثم الوصول الى اهم الاسس التي قامت عليها معرفة الفكر الجغرافي الاغريقي في عصره الاول او ما يعرف بالعصر الهيليني ، :

١) طاليس : ((Thales)) ٦٢٤ ـ ٥٤٥ ق . م

عاش في مدينة « ميلطس » جماعة من المفكرين اولهم طاليس المشهور الذي شغل تفكيره بالبحث في المادة وفي جوهر الاشياء ، وقد جهد هؤلاء المفكرين في تفريد مادة عامة وتجريدها من بين الموجودات وجعلها المادة الاولى في تركيب الاشياء ، وفي تفسير اختلافاتها وتغيراتها ، فرأى طاليس في عنصر الماء هذه المادة الاولى .(٢)

ويقول « هيرودوت » ((Herodotus)) . (٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق . م) المؤرخ اليوناني ان طاليس من اصل فينيقي ، وهذا يعني انه تشبع بالمعرفة التي تعود بجذورها الى الحضارات القديمة العراقية المصرية .

سافر الى مصر ودرس الفلك هناك وتعلم دورة الكسوف المتعاقبة وبذلك فهو اول الفلكيين اليونانيين .(١)

وفيما يختص بانفصال الارض عن السماء . يرى طاليس ان الارض استمرت تطفو فوق سطح الماء حتى تمكنت بتلك الحركة من الانفلات عن غطاء السماء فانفصلت .

---

(١) محمد علي عمر الفرا ، مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية ، ص ٣٢

(٢) طه باقر ، جـ ٢ ص ٢٢

(١) شريف ، ص ١٦٨

لقد انعكست آثار البيئة الجغرافية على آراء طاليس فجاءت مؤكدة على اهمية الماء ودوره في الحياة .

ومن المحتمل ان طاليس تاثر بالفكرة البابلية القديمة القائمة على اساس ان الماء هو المبدأ الاول غير المخلوق .

٢) هيكاتايوس ((Hecataeus) (٥٥٠ ـ ٤٨٥ ق . م

يعرف بابي الجغرافيا ، وقد قام باول محاولة من نوعها في العالم بحيث استحق هذا اللقب بجدارة ، حيث قام بجمع معلومات هائلة من المعلومات الجغرافية طبيعية وبشرية وذلك عن طريق التجار اليونانيين الذين يجوبون البحار والمناطق المحيطة بالبحر المتوسط ، وقام بتبويب تلك المعلومات ، ثم قام بوضع اول كتاب جغرافي معروف وجعل عنوانه ، الفترات الزمنية ، تناول في القسم الاول قارة اوربا واختص القسم الثاني بقارة آسيا وفي دراسته عن القارتين تناول الجوانب البشرية والطبيعية كدراسة الاقزام ودراسة المناخ والنبات والحيوان .

قام برسم خارطة للعالم ، ظهرت فيها الارض مسطحة دائرية الشكل تحيط بها المياه من جميع الجهات ، وقد سبقه برسم هذه الخارطة « الكسندر » تلميذ طاليس الا ان هيكاتايوس اجرى عليها بعض التحسينات بالقدر الذي يمكن اعتبار تلك الخارطة بداية للجغرافية الحقة .

ولا بد من التذكير من ان البابليين ومنذ العصر البابلي الاخير رسموا خارطة للعالم تبدو في اسسها مشابهة لخارطة هيكاتايوس مع العلم ان خارطة بابل اقدم منها

مكتبة الاسكندرية
قسم الدراسات السابقة
قسم باب الشمس

٣) هيرودوت :

يلقب هيرودوت بابي التاريخ وقد ولد في هليكارناسوس بين ظهراني اولئك الاغريق في غربي اسيا الصغرى الذين بداوا نهضة الاغريق الفعلية ، ويرجع انه ولد في عام ٤٨٥ ق . م وتوفي في حدود ٤٢٥ ق . م .

وهيرودوت شانه شان اكثر العلماء في اتساع معرفتهم وشمولية علمهم وعدم اقتصارها على فرع خاص من المعرفة ، فمع انه يعتبر ابو التاريخ الا ان ذلك لا يمنع طول باعه في العلوم الاخرى ، واقرب تلك العلوم الى التاريخ هو علم الجغرافية .

لذلك فقد اهتم كثيراً بدراسة الظواهر الجغرافية باعتبارها القاعدة التي ينطلق منها النشاط البشري الذي يمثل حركة التاريخ .

ونشير الى دور هيرودت كجغرافي لانه آتى براي يخالف الآراء التي كانت سائدة في زمانه . لقد اشرنا الى ان هيكاتايوس رسم خارطة ظهرت الارض مسطحة دائرية . الا ان هيرودوت اعتقد بان العالم اطول في امتداده بين الشرق والغرب منه في امتداده بين الشمال والجنوب وكان يسخر من الذين يرسمون الارض مستديرة ويجعلونها محاطة بالمياه .

لذلك رسم هيرودوت خريطة مخالفة في شكلها لخريطة هيكاتايدس فقد اوضح البحر المتوسط باعتباره بحراً داخلياً وجعله يتصل بالبحر الخارجي في الغرب عن طريق مضيق[1]

واعتقد بوجود اجزاء مجهولة من العالم لم يتم الكشف عنها . وقد اثبتت الكشوف الجغرافية صحة ذلك الاعتقاد وقد اشارت خارطته الى اتصال البحر الاحمر بالمحيط الهندي وارتباط البحر المتوسط ببحر خارجي .

كما ان معلوماته عن القارة الاوربية تعتبر المصدر الاساسي . حيث انه قام بوصف رحلته الى نهر الدانوب . كما انه قام بتقسيم المناطق المحيطة بالبحر المتوسط الى القارات الثلاثة اوربا واسيا . وافريقيا .

والملاحظ لخارطة هيرودوت . يرى ان بعض اسماء الجبال وضعت لاسماء المدن وكذلك وضعت اسماء السلاسل الجبلية لفروع الانهار . كما هو الحال بالنسبة لسلسلة جبال الكربات التي اعتبرها فرعاً من فروع نهر الدانوب .

اضافة الى بعض الاخطاء التي وردت في اطوال المسافات ولكنها لا تعتبر اخطاء كبيرة اذا ما قورنت وقيست بالزمن الذي وضعت فيه فهي وضعت قبل حوالي اربع وعشرين قرناً من الزمن

وبجانب ذلك يوجد عدد كبير من المفكرين الذين عاشوا في العصر الاغريقي الذي سبق عصر الاسكندر واهتموا بالجغرافية مع انهم عرفوا بجوانب علمية اخرى . امثال ارسطوا الذي عرف كفيلسوف . ولكنه كجغرافي قد اضاف كثيراً الى الفكر الجغرافي الاغريقي . وايفوروس وهو كاتب اغريقي الف كتابين عن العالم

---

(١) شريف . ص ٢٠٦

المعروف ، انذاك ، وكتياس الذي كان مختصاً بالطب الذي وضع كتاباً عن الهند والذي يعتبر من الكتب المهمة التي تناولت وصف الهند وصفاً طبيعياً وبشرياً .

ولا بد من الاشارة ان منتوجات الاسكندر وغزواته ساعدت على اتساع افق الفكر الجغرافي حيث ترتب على تلك الفتوحات اتساع الخارطة الجغرافية التي كانت قبل فتوحات الاسكندر معروفة لدى الاغريق ، كما ان طبيعة الاسكندر في فتوحاته واصطحابه لمجموعة من الجغرافيين واهتمامه بمعرفة طبيعية الارض والسكان وطبيعة المناخ يضع الاسكندر في عداد المفكرين الجغرافيين ، وقد ساعد الاسكندر على نشر الحضارة الهليتية في جمع الاقطار الشرقية ، وكانت هذه الاقطار تعيش ببقايا من الحضارات الشرقية الآفلة مثل الحضارة البابلية والحضارة المصرية .

وكان من نتيجة ذلك التقاء الحضارات فنتج عن ذلك تأثير متبادل بين تلك الحضارات ، بحيث اصبحت الحضارة الهلينية القديمة تعتمد على اسس تجمع بين اسسها القديمة وبين ما أقتبسه من الحضارات التي اصبحت تكون بيئة جديدة تتعامل فيها الحضارة الهلينية ، فظهرت نتائج جديدة ميزت الحضارة الهلينية الجديدة عن القديمة لذلك سميت الحضارة الجديدة بشبه الهلينية ، أو الهلنستية (Hellenistic) ولئن كان هذا العصر الهلينستي يتميز بالتقدم العلمي في كافة المجالات الفكرية فقد كان للجغرافيا نصيب ملحوظ من هذا التقدم ادى الى تطورها على اساس الافادة من العلوم الطبيعية والرياضية التي ازدهرت حينذاك .

٤) هيكيتاس (Hicetas)

سبق غيره في الاشارة الى دوران الارض وثبوت السماء وما فيها من نجوم . فقد اعتقد بأن الارض تدور بينما السماء ذات النجوم مستقرة ثابتة لا تتحرك اما الشمس والقمر فان كلا منهما يدور حول الارض .

٥) آريستازكوس : (Aristarchus)

اول من بين كيف نهتدي عن طريق استخدام المثلث الفيتاغوري الى النسبة بين بعد كل من الشمس والقمر عن الارض ، وقد نشر نظرية عن النظام الكوني القائمة على اساس ان النجوم ثابتة والشمس ساكنة لا تتحرك وان الارض هي التي تتحرك حول الشمس في محيط دائرة تحتل الشمس مركزها ، كما انه اشار الى محور الارض وميلانه .

مكتبة احمد
محاور الباب الاعلى

٩) ازاتوستين (Eratasthenes)

يعتبر إمام الجغرافيين ومن اعظم علماء الاسكندرية . كان في الإصل رياضياً بارزاً ولكنه كرس جانباً مهماً من جهوده للجغرافية حيث قام بوضع مصنف جغرافي تناول فيه تطور الفكرة الجغرافية الاغريقية . كما انه اشار الى طريقة قياس الكرة الارضية وقام بقياس محيط الارض وقطراها مستخدماً نظام المثلثات . وقدر محيط الارض ٢٦,٦٦٠ ميلاً وهذا قريب الطول الحقيقي والبالغ ٢٥,٠٠٠ ميل . وكذلك قدر قطر الارض . كما قام برسم خارطة للعالم المعروف .

لقد انتهينا من الاشارة بايجاز الى اهم المفكرين الجغرافيين الاغريق مشيرين الى وجود اعداد اخرى من العلماء ساهموا مساهمة فعالة في اتساع الافق الجغرافي وتوضيح المعلومات الجغرافية وخاصة ما ارتبط منها بالطبيعة الاغريقية .

اما اهم خصائص الفكر الجغرافي الاغريقي فهي : ـ

١) خضوع الفكر الجغرافي للطابع الفلسفي

حيث طغت على بحوثهم العلمية واذا حللنا كلمة الفلسفة . وهي كلمة يونانية مركبة تعني (حب الحكمة) وتشمل البحث في الظواهر الطبيعية والذي تدخله في العصر الحديث من دائرة العلم . اما التفكير والنظر في تجارب البشر وحياتهم فندعوه الان فلسفة . واذا حللنا القسم الاول مما تعنيه الفلسفة نراه يقع ضمن دائرة المعرفة الجغرافية . لذلك فان الفلاسفة اليونانيين اهتموا كثيراً بالمعرفة الجغرافية باعتبارها تدرس الظواهر الطبيعية وتاثيرها على الانسان وبالعكس .

٢) استخدام علم الرياضيات لخدمة الجغرافية

امتاز الفكر الجغرافي باستخدام الرياضيات استخداماً واسعاً سواء اكان ذلك في حساب حجم الارض او المسافة بين الكواكب السيارة حتى ان بعض العلماء الرياضيين اتجهوا اتجاهاً جغرافياً حتى نتج عن استخدام الرياضيات فرع جديد من فروع الجغرافيا عرف بالجغرافية الرياضية . ومن الذين اهتموا بهذا العلم طاليس ٥٨٠ ق . م وارسطو واراتوسطين .

٣) تبويب الجغرافية وتقسيمها الى الفروع الرئيسية :

كانت الجغرافية لديهم تنقسم الى قسمين رئيسين هما ، الجغرافية الفلكية وتتركز حول دراسة الكرة الارضية وابعادها وعلاقتها بالمجموعة الشمسية وخطوط الطول ودوائر العرض وحركة الارض وما يرتبط بالسماء ، ثم الجغرافية الوصفية والاقليمية وتشمل وصف البلدان والاقاليم مركزة على البيئة الاغريقية في الدرجة الاولى وقد اضيف الى هذه الفروع فرع الجغرافية الرياضية وبداية لفرع الجغرافية النباتية .

٤) الاهتمام برسم الخرائط :

امتازت الجغرافية الاغريقية باستخدام الخارطة استخداماً واسعاً ، فرسمت خرائط للعالم المعروف آنذاك وتباينت في دقتها وشمولها ، ومن هذه الخرائط خريطة هيرودت للعالم وخريطة هيكاتايوس وخريطة اراتوستيت للشرق والغرب .

هـ ـ الفكر الجغرافي الروماني

من الممكن ان نقسم البحر المتوسط الى حوضين احدهما في الشرق والثاني في الغرب ، اذ ان امتداد شبه جزيرة ايطاليا واقترابها من جزيرة صقلية يكون حاجزاً يفصل بين جزئي البحر المتوسط .

وكان من نصيب الحوض الشرقي مجيء الاقوام اليونانية واستقرارها في جزره وسواحله الشرقية ، كما كان من نصيب الحوض الشرقي ان يكون قريباً من مراكز الحضارة القديمة المتمثلة في كل من حضارة وادي الرافدين ووادي النيل ، اما الحوض الغربي فكان اكثر بعداً عن المراكز الحضارية القديمة ، الا انه من حسن الحظ ان يكون الفينقيون همزة الوصل بين الحوضين منذ تاريخ قديم .

واذا ادخلنا عامل الظروف الطبيعية بجانب الموقع الذي اشرنا اليه نجد ان ، خصائص الحوض الشرقي تختلف عن الحوض الغربي فكثرة الجزر والارخبيلات التي يمتلكها الحوض الشرقي تفوق الحوض الغربي ، الامر الذي انعكس على طبيعة الحياة السياسية في كلا الحوضين .

اذ ان الوحدات السياسية التي نشأت في الحوض الشرقي فاقت بعددها دول الحوض الغربي ، كما ان خاصية الوحدة السياسية للدولة برزت في الغرب اكثر من الشرق .

مكتبة احمد محاه الباب الاعلى